

باب الدّعاء مفتوح في كلّ الأوقات



<https://balagh.com>

والدّعاء دائمًا له هدف وغاية، ولا فرق بين حاجةٍ صغيرةٍ تطلبها، وترجو أن يحققها الله لك، أو حاجة كبيرة. قال تعالى: (وَإِذَا سأَلَكَ عَبْدًا دِيْنَهُ فَإِنَّمَا يَرِيبُ أُجَيْبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ حِبْدُوا لِي وَلَبُؤُمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة/ 186). عندما ترفع يديك وتدعوه أو تتضرّع، أو تبتهل وتتوسل، جهراً أو سراً، ففي كل الحالات، أنت تدقّ باب الله تعالى. إنّ الله لم يضع شروطاً مسبقةً ومواصفات محدّدة، أو دفتر شروط للدّعاء، فالباب مفتوح ومتاح للجميع، فالمنافق بإمكانه أن يدعوه كما يفعل المؤمن، والحريم أو البخيل يسأل الله كما يسأله الفقير والمسكين، وقد يطمع من هو على باطلٍ في زيادة منافعه، فيُدلّي بدلوه في مواسم الدّعاء.

إنّ الدّعاء عبادة خالصة، ولو لم يكن فيها مصلحة للإنسان، لما فتح الله لهذا الباب من أبواب رحمته، لذلك دعانا إلى أن نسأل الله ونلجأ إليه سبحانه في الشدّة والرخاء، في الخوف والأمن، وفي العُسر واليُسر، وفي حديث قدسي، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عُبْدِي تعرّف إلى ما في الرخاء أعرفك في الشدّة». ولا ينبغي لأحدٍ أن يتوجهَ مُأنِّ الدّعاء معناه أن تطلب من الله سبحانه

حاجة دنيوية يتبعـر الحصول عليها، أو أن تطلب من إـنـه أن يساعدك في الخروج من ضيق، أو عشرة أنت فيها.. هذا تصوـر يمسخ مفهوم الدـعاء، يـحـمـه. جوهر الدـعـاء أزـهـ عبادة كباقي العبادات، بل هو مـخـ العـبـادـة، كما ورد في الحديث، لكن من دون طقوـسـ ولا موـاقـيتـ.

يقول الرسول (صـلـى إـنـه عـلـيـه وآلـه وـسـلـمـ) : «إـنـ أـعـجزـ النـاسـ مـنـ عـجزـ عـنـ الدـعـاءـ». الدـعـاءـ سـلاحـ، تـربـويـ لـإـعادـةـ صـيـاغـةـ عـلـاقـاتـناـ، وـسـلاـحـاـ يـواـكـبـ رـحـلـتـنـاـ الـيـوـمـيـةـ. إـنـنـاـ نـعيـشـ مـرـحلـةـ مـنـ سـماـتـهاـ اـنـتـشارـ طـاهـرـةـ الـقـلـقـ، وـالـإـبـاطـ، وـالـيـأسـ، وـالـقـنـوـطـ مـنـ أيـ تـغـيـيرـ يـنـقـلـنـاـ إـلـىـ الـأـحـسـنـ، عـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ صـعـبـدـ. إـنـنـاـ بـالـدـعـاءـ الصـادـقـ نـسـتـطـيـعـ اـسـتـعـادـةـ الثـقـةـ بـإـنـ، وـالـخـرـوجـ مـنـ طـاهـرـةـ الـإـبـاطـ وـالـقـلـقـ، عـلـىـ مـسـتـوـيـ الـأـفـرـادـ وـالـجـمـاعـاتـ. وـالـمـلـاحـظـ أـنـ مـعـظـمـ الـأـدـعـيـةـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ جـاءـتـ بـصـيـغـةـ الـجـمـعـ، وـهـيـ بـمـثـابـةـ دـعـوةـ صـرـيـحةـ لـجـعـلـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ الدـعـاءـ سـلـوكـاـ عـامـاـ بـيـنـ الـمـسـلـمـينـ، وـالـنـتـيـجـةـ وـاضـحةـ وـبـيـنـنـةـ وـمـعـرـوفـةـ: الدـعـاءـ يـتـحـوـلـ إـلـىـ وـسـيـلـةـ لـشـدـ العـرـىـ دـاخـلـ الـمـجـتمـعـ إـلـاـسـلـامـيـ، بـاعـتـارـهـ مجـتمـعـ تـكـافـلـ وـتـعـاوـنـ، وـتـحـابـ، فـحـيـنـ تـزاـوـجـ فـيـ دـعـائـكـ بـيـنـ هـمـوـمـ الدـعـاءـ نـيـاـ مـنـ حـولـكـ وـهـمـوـمـ مـحـتـمـلـكـ وـهـمـوـمـ آخـرـتـكـ، فـهـذـاـ يـعـنـيـ أـنـ بـوـصـلـتـكـ لـمـ تـنـحـرـفـ، فـهـدـفـكـ وـجـهـ إـنـ، وـلـاـ وـجـهـ غـيـرـهـ، إـنـ دـعـوتـ، فـمـنـ مـوـقـعـ عـبـودـيـّـتـكـ وـفـقـرـكـ وـحـاجـتـكـ إـلـىـ رـحـمـةـ إـنـ وـرـأـفـتـهـ وـحـنـانـهـ. نـعـمـ، فـيـ سـاحـةـ الدـعـاءـ، نـمـارـسـ عـبـودـيـّـتـنـاـ بـحـرـيـةـ كـامـلـةـ، وـبـاختـيـارـ وـاعـ، تـدـفعـ بـرـوحـكـ وـصـوـتكـ فـيـ مـعـارـجـ مـلـكـوتـ إـنـ، فـتـصـبـحـ جـزـءـاـ مـنـ مـنـظـوـمـةـ كـوـنـيـةـ تـُسـبـّـحـ الـخـالـقـ وـتـمـجـدـهـ.

إـنـ الدـعـاءـ يـعـبـرـ عـنـ مـنـتـهـيـ الشـفـافـيـةـ وـالـإـلـاـخـلـمـ إـلـيـهـ تـعـالـيـ، وـيـبـرـزـ أـصـالـةـ الـإـنـسـانـ وـمـدـىـ اـرـتـبـاطـهـ بـرـبـهـ، وـشـعـورـهـ الـرـوـحـيـ وـالـإـيمـانـيـ الصـادـقـ بـهـذـهـ الـعـلـاقـةـ، لـأـنـ الدـعـاءـ فـيـ مـفـرـدـاتـهـ وـأـبعـادـهـ يـجـدـ دـ روـحـيـةـ الـمـؤـمـنـ، وـيـعـمـلـ عـلـىـ إـبـقاءـ جـذـوـتـهـ حـيـةـ فـيـ مـشـاعـرـهـ وـأـفـكـارـهـ وـحـرـكـتـهـ فـيـ الـحـيـاةـ. مـنـ هـنـاـ، إـنـ الدـعـاءـ وـجـهـ مـنـ وـجـوهـ الشـكـرـ، إـنـاـ مـاـ عـشـنـاـ الرـخـاءـ وـالـطـمـأنـيـنـةـ فـيـ أـوـضـاعـنـاـ الـنـفـسـيـةـ وـالـمـالـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـغـيـرـهـاـ، فـلـابـدـ وـأـنـ يـبـقـىـ دـعـاؤـنـاـ حـيـاـ وـحـاضـراـ، وـأـلـاـ نـعيـشـ السـهـوـ وـالـغـفـلـةـ عـنـ إـنـ، وـنـرـكـنـ إـلـىـ الـطـمـأنـيـنـةـ، وـنـنـسـىـ فـضـلـ إـنـ عـلـيـنـاـ فـيـ السـرـاءـ وـالـضـرـاءـ، فـمـنـ التـأـدـبـ مـعـ إـنـ أـنـ نـشـكـرـهـ عـلـىـ زـعـمـهـ وـأـلـطاـفـهـ، وـأـنـ نـسـتـحـضـرـهـ أـيـّـامـ رـخـائـنـاـ وـشـدـ تـنـاـ، وـمـنـ حـقـهـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـدـعـوـهـ فـيـ كـلـ حـالـاتـ الـدـعـاءـ، عـنـدـمـاـ يـتـوـجـهـ الـمـرـءـ إـلـىـ إـنـ، وـلـاـ يـكـونـ عـلـيـهـ أـيـ شـكـلـ مـنـ أـشـكـالـ الـضـغـوطـاتـ، وـيـكـونـ بـالـهـ مـرـتـاحـاـ، فـيـمـارـسـ الشـكـرـ مـنـ مـوـقـعـ الـوـعـيـ وـالـتـقـدـيرـ لـوـاجـبـاتـهـ تـجـاهـ خـالـقـهـ.